هل اللغة العربية صعبة؟
كيف يمكن تيسيرها؟

رشاد دارغوت
أديب وشاعر-لبنان

(أ) أجمع على القول بصعوبة اللغة العربية دارسوها وخاصة الأجانب، سواء كانوا مستشرقين أو ديبلوماسيين، حتى كاد ترديد هذا الكلام المرسل يلبسه ثوب الحقيقة. ولا سيما أن الطرق والأساليب المتبعة، حتى الآن، في تدريس لغتنا، للمبتدئين ولسواهم، لم تتطور بالقدر الكافي. كما أن الكتب الموضوعة لذلك الغرض، لم تستوف الشروط التربوية والسيكولوجية (النفسية) التي اهتدى إليها الاختصاصيون.

ب - والأمر الذي لا شك فيه، هو أن اللغة العربية، في أوضاعها الراهنة، وما تراكب على قواعدها من بقايا الثقافات التي احتضنتها، ليست هذه اللغة العريقة من اللغات السهلة، سواء في دراستها، نحوا وصرفا، أو في كتابة حروفها، أو قراءة تلك الحروف.

ولئن كانت هذه اللغة، في الأصل، لغة منطقية، وبالتالي سهلة التناول، فهي، بما اجتمع لها من القيود، في مدى تاريخها الطويل، بتأثير الشعوب المنوعة التي اعتنقتها، قد صارت إلى ما صارت إليه اللغة اللاتينية، قبل أن تنقرض، وينبثق عنها فروعها الحديثة (الفرنسية والإيطالية والاسبانية).

ج - وما حفظ اللغة العربية وصانها من الانقراض سوى الحيوية التي امتازت بها، وهي التي حببتها إلى شتى الشعوب والأمم المستعربة، فاستبدلت بها لغاتها الأصلية. وذلك بالإضافة إلى كونها لغة القرآن.

وليس أدل على تلك الحيوية المرنة، من تقبلها الاشتقاق، على أوسع نطاق، يمكن أن ترضخ له اللغات. (اطلب كتاب الاشتقاق والتعريب، للعلامة "المغربي")[1].

ولنذكر هنا أن اللغات السامية الشقيقة للغتنا قد انقرضت، منذ مئات السنين، باستثناء العبرانية كما انقرضت معاصراتها من اللغات الآرية، كاللاتينية وسواها.

كما يحسن أن نذكر، على هامش القيود والشواذ التي توفرت في اللغة العربية، أن أكثر علماء اللغة كانوا من غير العرب، حتى في عصور الازدهار الأولى. ولهذا الواقع التاريخي دلالته الخاصة، وأثاره الملموسة فيما وصلت إليه قواعد اللغة، من تعقد بعد البساطة.

خطوات أولى للتيسير

أ - وقد يسر الأولون القراءة، بتشكيل الحروف، أي بوضع الحركات المعروفة عليها الفتحة والضمة والكسرة). ويرجع الفضل في ذلك إلى أبي الأسود الدؤلي، الذي كان يعمل، بتوجيه الإمام علي، على وضع قواعد اللغة الأساسية. فكانت هذه الخطوة موفقة كل التوفيق، إذ يسرت القراءة والفهم معا على القارئ، كما يسرت وتيسرت حفظ المفردات والتراكيب العربية، على وجهها الصحيح، وتساعد على النطق بها سليمة من الرصانة الشائعة.

ب - وكان إعجام الحروف، أي تنقيط الحروف المتشابهة (كالباء والتاء، وما إليها) الخطوة التالية لتيسير القراءة وضبط الكتابة. وقد تم ذلك في العهد الأموي، في خلافة عبد الملك بن مروان، يوم اعتزم تعزيز اللغة العربية، فجعلها لغة الدواوين، أي لغة الدولة الرسمية.

(1) المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيسا لمجمع العلمي العربي بدمشق، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وقد كانت الحروف الكوفية الشائعة الاستعمال، لا تعرف – ولا سيما المتشابهة منها – إلا من سياق الكلام. " فباب " مثلا كانت تقرأ كذلك، كما تقرأ تاب، أو ناب، أو بات أو ثاب...

ج – وجاء التوقيف، أو استعمال علامات الوقف، حينما دون القرآن، خطوة ثالثة لتيسير القراءة. وإننا لنجد في المصاحف، الموجود بين أيدينا، أولى المحاولات لاستعمال علامات الوقف، وان كان المقرئون مجمعين على القول بأنه " ليس في القران من وقف وجب".

د – وللبنانيين، على مر العصور سبق في هذا الصعيد، لابد من الإشارة إليه. ففي العهد الفنيقي، أتحفوا العالم بحروف الهجاء، وهي أعظم نتاج تمخض عنه العقل البشري. فجاءت تلك الحروف الصوتية المعدودة، بعد الحروف الهيروغليفية والمسمارية الكثيرة، دليلا على ما يهدف إليه الفكر الإنساني المتطور، في وسائل التعبير عن ذاته، من اقتضاب، ويسر، وبساطة.

وفي العهد العربي عمل اللبنانيون، ثم تابعهم المصريون والسوريون وسواهم، على طبع هذه اللغة بالطابع الحضاري، وتيسير الفهم بها، بعد تيسير أساليب التعبير. ويكفي أن نذكر النهضة الأدبية، التي بعثها مغتربونا في مصر، وفي الأمريكيتين، لنسجل فضل لبنان العميم على هذه اللغة، في الوطن وفي المهاجر. حتى صار اللسان العربي، في الكتاب الحديث، كما نعهده الآن، مستساغ الألوان حلو الجرس، مرن السياق، جميل الأسلوب. وبات بإمكان القارئ أن يتابع المطالعة، دون توقف عند كل خطوة، أو رجوع إلى المعجم في كل جملة.

هـ – ولابد من القول، بأن بعض الفضل في ذلك، يرجع إلى التلاقح الحاصل بين أساليب لغتنا العربية، وأساليب اللغات الأجنبية، التي تعلمناها وأتقناها.

وهو تلاقح تم مثله في العهد العباسي، بين هذه اللغة واللغات الأخرى (لفارسية، والرومية والسريانية وسواها) فجنت لغتنا من ذلك التلاقح في الماضي والحاضر، أطيب الثمرات.

بقيت الحروف العربية نفسها، ووفق أشكالها المطبعية، فهي بين حروف "الأول "وحروف الوسط" وحروف الآخر، والحروف المنفصلة تتضاعف عددا. في حين أنها لا تتجاوز في الأصل السبعة والعشرين. وهو أمر يعوق ازدهار الطباعة ورواج الكتاب العربي.

و- إلا أن الحلول التي عرضت، حتى الآن، لهذه المعضلة، لم تكن عملية، سواء منها الاقتراح القاضي باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، أو وضع حروف جديدة لا تمت إلى الحروف القديمة بصلة، أو الاكتفاء بشكل واحد من أشكال الحروف الحالية، لكتابتها به باستمرارها، فأي من هذه الاقتراحات، إذا أخذنا به، يقود بالنتيجة إلى طفرة، لا تحمد عواقبها، ولا قبل للشعوب العربية بتحملها، وهي في مستواها الراهن، اجتماعيا، واقتصاديا، وثقافيا.

فضلا عن أن الأخذ بتلك المقترحات، أو بأحدها أمر يخرج عن مدى إمكان هذه الشعوب، لأن الحروف العربية مرحلة من تطور (الأبجدية)، من جهة، ولأنها حروف يكتب بها غير العرب لغاتهم من جهة ثانية.

وقد جاء اقتراح الأمير اغا خان، أخيرا في المؤتمر الإسلامي المنعقد في كراشي (شباط 1951 باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية، في البلاد الإسلامية إلى جانب لغاتها القومية، دليلا على صحة ما نذهب إليه.

خطوات تالية لابد منها

أ – لابد من خطوات أخرى نتخذها، لتيسير اللغة العربية، ولكن بصورة تدريجية. وإننا سنخلص ما نرى إمكان الأخذ به، في الوقت الحاضر، بسبيل إدراك تلك الغاية على الوجه التالي:

ب – يتحتم علينا الإبقاء على الحروف العربية، بأشكالها الراهنة على أن نضيف إليها بعض الاصطلاحات التي تمكننا من تصوير الأصوات المعروفة، في اللغة الأجنبية: مثل حرف U الفرنسي، وP وسواهما. وقد جرى الكتاب على

استعمال الباء، بثلاث نقط، لتصوير الصوت الثاني، ونقترح نحن استعمال الواو، تعلوها نقطة، لتصوير الصوت الأول.

ج - ولابد لنا من تشكيل الحروف، أي وضع علامات الإعراب عليها، بسبيل تسهيل القراءة وضبط الكتابة واللفظ، لا فرق في ذلك بين الكتب المدرسية الموضوعة للمبتدئين، وبين كتب المطالعة التي تنشر للمثقفين، وبين الصحف والمجلات وسواها، ومن المنشورات الدورية.

فقد حمل الأولين على وضع هذه العلامات حرصهم على سلامة اللغة، من رطانة الأعاجم، ونحن، على الرغم من الفارق الزمني نجد أن ذلك الباعث لم يبرح قائما. فما علينا إلا أن نقيد الكلمات بالحركات، فنحفظها صحيحة من جهة، ثم نقرأها بيسر وسهولة من جهة ثانية.

د - ولكن كيف نحرك الحروف؟

منذ نحو عشرين سنة، طبقنا القواعد التالية، في جميع الكتب التي ألفناها، أو اشتركنا في تأليفها:

1) نحذف العلامة المعروفة (بالسكون) حيثما وردت هذه العلامة التي يغنينا عنها عدم وجودها. ونصطلح على أن غياب الحركة معناه وجود (السكون) وهكذا نخفف ربع الحركات، على أقل تعديل، في ضبط الكتابة.

2) نستغني عن تحريك الحرف الذي نقف عنده، فلا حركة إذن حين الوقف، عملا بالمصطلح العام، لدى علماء التجويد. وهذه القاعدة تخفف جزءا غير يسير من الحركات التي لا لزوم لها، ما دمنا لا نلفظ حركة الحرف الذي نقف عنده.

3) نحذف الحركات قبل حروف المد وهي ثلاثة: الألف والواو والياء، أما إذا كان الحرفان الأولان للقطع، فإننا نقرن الحرف الذي يسبقهما بالحركة اللازمة.

ومثال ذلك: (باب، ونور، وطيب والألف والواو والياء، وفي هذه الألفاظ، حروف مد تغني عن الفتحة على الباء، والضمة على النون، والكسرة على الطاء. أما في هاتين الكلمتين: " ثوب وطيد" فلا بد من وضع الفتحة على كل من التاء والطاء، لأن الواو والياء فيهما هما حرفا قطع، لا حرفا مد.

ومن السهل إدراك الصعوبات التي نتفاداها بلجوئنا إلى تطبيق هذه القاعدة.

4) لا لزوم للعلامة الخاصة الدالة على همزة الوصل (1) إذ أن همزة القطع وحدها هي التي نرسمها على الألف، حين الكتابة.

5) لا لزوم للفتحة قبل تاء التأنيث، سواء كان ذلك في الاسم أو في الفعل، ومثال ذلك لفظتا: كتابة، وشربت، ففي الحالتين يحتم وجود هذه التاء فتح الحرف الذي يسبقها.

6) لا لزوم للشدة على الحروف الشمسية ومثال ذلك: الصورة الشمس. إن وضع الشدة على الصاد أو الشين، كما جرت العادة، لأن اللفظتين ليستا من الكلمات المضاعفة مثل "مد أو شدد التي تستلزم هذه العلامة.

7) نظهر الألف المضمرة، وسواها من الحروف المتروكة، في مثل " هذا، وذلك ورحمن، وسواها من ألفاظ شائعة، فنستغني عن بعض الصعوبات وعلى هذا نكتب هذه الكلمات كما تلفظ، دون زيادة ولا نقصان: هذا، وذلك ورحمان، وسواها، كما نكتب داوود بالواوين، (ومئة) على هذه الصورة بالذات، وعمر دون واو، وفيما ومما وعلام، وسواها دون اتصال أو إدغام أو حذف.

وهكذا نكتب سواها من الكلمات الكثيرة التي اعتدنا أن نكتبها على غير الصورة التي تلفظ بها، أو الصورة التي كانت عليها قبلا. وهي بمجموعها تؤلف إحدى الصعوبات التي تعترض سبيل دارسي اللغة العربية.

والواقع أنه ليس من مبرر للاستمرار على الأخذ بهذه الشواذ، أو الأخطاء المتوارثة بعد أن تحللت لغتنا من أمثالها في العصور السابقة: (لنذكر كتابة القران، وفيها من ذلك ما يعلله العلماء بالقول: أن كتابة القرآن لا يقاس عليها).

فنحن أحوج إلى التحرر من تلك الأعباء، ولاسيما في عصر العلم والمادة والسرعة الذي نعيش فيه.

8) ومن هذا القبيل تجنب الألفاظ المشتركة أو التي تقبل الإبهام ومثال ذلك لفظة: " الأرز" فهي تحتمل أن تكون للدلالة على الحبوب المعروفة، والمسماة كذلك " الرز" كما يمكن أن تدل على الشجر المعروف، والذي اتخذه لبنان شعارا له.

لذلك نعمد إلى تخصيص لفظة " الرز" بالغلال الزراعية المذكورة، ونترك اللفظة الأخرى للدلالة على الشجر المشار إليه.

هذه الألفاظ كثيرة في اللغة العربية وأكثر منها المترادفات، التي لا يمكن أن تكون للدلالة على معنى واحد، بل هي في الأصل نعوت تدل على حالات معينة. فيحسن بنا أن نصرفها إلى وجوهها التي تصلح لها، وحينئذ نتجنب صعوبة أخرى صارت من الأدلة على فقر اللغة لعربية، بعد أن كانت من مظاهر غناها ونعني وفرة الأسماء لبعض المدلولات، كالسيف، والناقة، والأسد وسواها وانعدام الأسماء لكثير من المسميات القديمة والحديثة، على حد سواء.

9) كتابة الهمزة وهي، من أعقد مشكلات الكتابة العربية، ويكفي أن نعلم أن أكثر الأدباء والصحفيين يخطئون في تصويرها، في كثير من المواضع كما أن الاجتهادات في بعض قواعدها المعقدة، تختلف بين قطر وقطر، وبلد وبلد.

ومن رأينا أن نوحد أشكالها: فنجعلها بكرسي الألف، في بدء الكلمة وفي وسطها، ودون كرسي فيما عدا ذلك.

10) وعلى ذكر التوحيد لابد من الإشارة إلى الفوارق التي نشاهدها في رسم بعض الحروف في هذا البلد أو ذاك، من بلاد العربية. فبينما نرسم، نحن في لبنان، حرف الياء معجما أي مع النقطتين هكذا (ي)، يرسمه إخواننا المصريون مهملا أي دون تنقيط هكذا (ى). أي أنهم يرسمونه شبيها بالألف المقصورة عندنا. وهكذا يقع القارئ في الالتباس، كلما شاهد هذه اللفظة مثلا (أري)

مكتوبة على الطريقة المصرية. فهل هي (أرى) للمتكلم بصيغة المضارع أم (أري) للمخاطبة بصيغة الأمر!

ومثل هذا كثير، في رسم الحروف، في مختلف البلاد العربية.

هـ) هذه الطرق التي طبقناها، فأتت بأفضل النتائج، وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته، إلى فرصة ثانية، يمكننا فيها أن نسهب فيما أجملنا عليه القول، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القارئ كما أنها توفر للمطالع جزءا غير يسير من قوة الانتباه، فيصرفه إلى تفهم المعنى في النص الذي يطالعه. فضلا عما توفره من جهود عامل المطبعة، ووقته. وبالتالي تساهم هذه الطرق، متى طبقت بصورة إجماعية، في ازدهار الطباعة، وتيسير التعليم وشيوع الثقافة بترويج الكتاب العربي، الذي يشكو الكساد، حتى في أوساط المثقفين.

و- وإننا نورد فيما يلي الفقرة السابقة مضبوطة بالحركات، وفقاً للطريقة القديمة وإلى جانبها النص نفسه مشكولا بالطريقة التي اتبعناها في كتبنا المطبوعة، وفي هذه الرسالة وشرحناها فيما مر باقتضاب، وذلك على سبيل المقارنة.

الطريقة القديمة

هذه الطرق التي طبقناها،
فأتت بأفضل النتائج،
وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته،
إلى فرصة ثانية، يمكننا
فيها أن نسهب في ما أجملنا
عليه القول، هي وسائل صالحة
للتخفيف عن بصر القاري.
كما إنها توفر للمطالع جزءا
غير يسير من قوة الانتباه،
فيصرفه إلى تفهم المعنى
في النص الذي يطالعه.
فضلا عما توفر من جهود
عامل المطبعة، ووقته.
وبالتالي تساهم هذه الطرق،
متى طبقت بصورة إجماعية،
في ازدهار الطباعة، وتيسير
التعليم، وشيوع الثقافة،
بترويج الكتاب العربي،
الذي يشكو الكساد، حتى
في أوساط المثقفين.

الطريقة الجديدة

هذه الطرق التي
طبقناها، فأتت بأفضل النتائج،
وسواها مما نحتفظ بتفصيلاته،
إلى فرصة ثانية، يمكننا فيها
أن نسهب في ما أجملنا عليه
القول، هي وسائل صالحة
للتخفيف عن بصر القاري.
كما إنها توفر للمطالع جزءا
غير يسير من قوة الانتباه،
فيصرفه إلى تفهم المعنى في
النص الذي يطالعه. فضلا عما
توفره من جهود عامل
المطبعة، ووقته. وبالتالي
تساهم هذه الطرق، متى
طبقت بصورة إجماعية، في
ازدهار الطباعة، وتيسير
التعليم، وشيوع الثقافة،
بترويج الكتاب العربي،
الذي يشكو الكساد، حتى
في أوساط المثقفين.

علامات الوقف:

أ - يضاف إلى ما تقدم علامات الوقف الشائعة في الكتابة، لدى الأمم الغربية. وقد شعر العرب الأقدمون بالحاجة إلى مثلها، في تلاوة القران الكريم، فاصطلحوا على علامات للوقف، نجدها في المصاحف كما سبق القول وإن كانوا قد اصطلحوا أيضا على أنه ليس في القران من وقف وجب.

هذه العلامات تيسر القراءة العربية تيسيرا محسوسا، كما تقرب النصوص المقروءة من الإفهام. وقد اختبرنا ذلك في كتبنا المنشورة المدرسية منها والأدبية، فأتى بأفضل النتائج. وإن كان أحد النقاد قد عد ذلك، في رواية "خطيئة الشيخ" المنشورة عام 1938 خطيئة لا تغتفر.

كما نشرنا بحثا مستفيضا حول هذا الموضوع، وضرورة جعل تلك لعلامات جزءا من الكتابة العربية، في "مجلة التعليم" الصادرة بالفرنسية، عن مديرية المعارف العامة، في المفوضية الفرنسية عام 1928.

هذه العلامات من الفاصلة إلى النقطة، ومن علامة التعجب إلى علامة الاستفهام ومن المعترضين إلى القوسين... كلها وسائل لتيسير القراءة، وتيسير الفهم. فضلا عما تكسبه لكتابة العربية من مظهر فني في الإخراج، لا نجده في الكتب التي تخلو من تلك العلامات، أو يقتصر فيها على بعضها الشائع، حتى في الصحف اليومية.

ب – وفيما يلي نموذجان للمقارنة، نختارهما من "مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق" فقد ورد في كتاب "تاريخ الحكماء" (2) الصفحة 56 الفقرة التالية:

"فسأل الأمير نوح بن منصور الرئيس أبو علي الإذن له في دخول دار له فيها بيوت الكتب فنال الإيجاب فطالع من جملتها فهرست كتب الأوائل وطلب ما احتاج إليه فرأى من الكتب ما لم يقرع أسماع اسمه لأبي نصر الفارابي وغيره. فقرأ تلك وظفر بفوائدها وعرف مرتبة كل رجل في علمه المتقدمين".

وورد في "ديوان ابن عنين"(3) الصفحة 6 وما يليها من قصيدة مدح بها الشاعر الملك العادل:

---

(2) عني بنشره وتحقيقه المرحوم الأستاذ محمد كرد علي.

(3) عني بنشره وتحقيقه الأستاذ المرحوم خليل مردم بك.

"ملك إذا خفت حلوم ذوي النهي

في الـــروع زاد رزانـــة وتوقـــرا

ثبت الجنـــان تـــراع من وثباتـــه

يوم الوغى وثباته أسد الشـــــرى

يقظ يكاد يقول عمـــــا في غـــــد

ببديهـة غنـــــــته أن يتفـــــكـرا

حلم تـــــخف له الـــحبال وراءه

عـزم ورأي يـــحقر الاسكنـــــدرا

يعفو عن الذنب العظيـم تكرمـــا

ويصد عن قول الخنـا متكبـــــــراً

ففي تلك الفقرة النثرية "نقطتان" فحسب من علامات الوقف وفي هذا المقطع الشعري، لا أثر لتلك العلامات على الإطلاق.

ج- وإذا نحن نشرنا، فيما يلي، تلك الفقرة النثرية مضبوطة بعلامات الوقف، على الطريقة نقترحها، أمكن للمطالع إدراك معانيها، دون عناء، ولو أغفلنا، كما فعل الناشر، حركات الإعراب.

كما أن هذا المقطع الشعري، إذا نشرناه مقرونا بعلامات الوقف، صار أوضح معنى وساهمنا، إلى حد، في إبراز الصورة العامة التي أراد أن يعطيها لملك عظيم، صورة تشبه لوحة زيتية متجانسة الألوان، وأن كانت ألوانها في الأصل، شتى متنافرة.

وفيما يلي الفقرة والمقطع، مقرونين بعلامات الوقف، وبالحركات على طريقتنا المقترحة.

1- "فسأل الأمير نوح بن منصور الرئيس أبو علي، الإذن له في دخول دار له فيها بيوت الكتب فنال الإيجاب فطالع من جملتها، فهرست كتب الأوائل،

وطلب ما احتاج إليه، فرأى من الكتب ما لم يقرع أسماع الناس اسمه، لأبي نصر الفارابي، وغيره فقرأ تلك الكتب، وظفر بفوائدها وعرف مرتبة كل رجل، في عمله من المتقدمين.

2 - "ملك إذ خفت حلوم ذوي النهي
في الروع زاد رزانة، وتوقرا
ثبت الجنان تراع من وثباته
يوم الوغى، وثباته، أسد الشرى
يقظ، يكاد يقول عما في غد!
ببديهة غنته أن يتفكرا
حلم تخف له الجبال! وراءه
عزم ورأي يحقر الاسكندرا!"
يعفو عن الذنب العظيم تكرما
ويصد عن قول الخنا متكبرا

وسائل إيجابية وسلبية

أ- هذه القواعد التي أوجزنا الكلام عليها، تهدف إلى ضبط الكتابة العربية وتيسيرها معا، كما تهدف إلى تسهيل القراءة والفهم. وقد ثَبَتَتْ لدينا فائدتها، بعد تطبيقها عمليا، منذ عشرين سنة ونيف.

وهي كما يبدو وسائل إيجابية، تساير النزعة التطورية دون تهديم، أو تنكر لماض عظيم، وتساوق اتجاه الفكر، لدى الشعوب العربية، التي تمقت الطفرات، ولا تستسيغ الثورات، كما لا ترتضي أن يقوم بينها وبين ماضيها أي حجاب.

وفي تطبيق هذه القواعد، نسير بلغتنا إلى الأمام، ونتم ما بدأ به الأولون، في مطلع النهضة العربية، إذ شكلت الحروف بالحركات، خشية الرطانة الشائعة اليوم، حتى بين المثقفين ثم أعجمت الحروف المتشابهة، بإضافة التنقيط عليها.

ب – ولكن لا بد لنا من أن نضيف إلى ما ذكرنا، من وسائل التيسير الايجابية، وسيلة " سلبية" -إذا صح التعبير- وهي الوسيلة التي تلجأ إليها الأم مع طفلها، والمعلم مع تلميذه والصحفي مع قرائه، والأديب الموهوب مع المطالعين من عامة المثقفين. ونعني الامتناع عن "الإغراب" في اللفظ وفي المعنى.

هذا الإغراب نوعان: إغراب في المفردات وإغراب في التراكيب. والمهم هو الابتعاد عن النوع. الثاني لأن اللفظة مهما بعد مدلولها عن مصطلح الناس تجد إلى أفهامهم سبيلا، ولا سيما إذا كانت تدل على المحسوسات.

نحن نجد الكلام باللغات الأجنبية أيسر فهما منه باللغة العربية. كما نجد أنفسنا أسرع إدراكاً لما يقال بتلك اللغات. ويرجع ذلك، في رأينا، إلى أن الإغراب في التركيب، في تلك اللغات لا وجود له إلا نادرا. فالفعل يتبعه الفاعل، ثم ما يتمم المعنى، أما في اللغة العربية، فأساليب البيان والبلاغة منوعة، حتى يكاد يطغى المبنى، على المعنى، والمظهر على الحقيقة، في كل ما يقال ويكتب بهذه اللغة.

فيحسن بالكاتب العربي أن يعلم هذه الحقيقة الأولية وهي أن تلك الأساليب البيانية ليست كلها في متناول عامة القراء، فلتبق للاختصاصيين، وللتباري بالفصاحة وآيات الإعجاز في المجالات الصالحة لتلك المبادرة.

ب- حينئذ، ومتى لجأ الكاتب إلى الأسلوب الملائم انتفى أساس الزعم القائل بصعوبة اللغة العربية وخاصة ذلك القول الشائع بأن على قارئ اللغة العربية، أن يفهم كي يقرأ بينما يقرأ الناس في لغاتهم كي يفهموا!

وبالأسلوب الملائم نعني الأسلوب البسيط أي الأسلوب الذي لا تفسده الجوازات والشواذ، ولا تثقله الاستطرادات والتحشيات.

وأكرر القول بأن العدول عن الأخذ الأساليب بتلك التي تبقى للاختصاصيين لا يعني إسقاطها أو إبطال ما لها في النفوس من سحر. بل يعني أننا نتركها لعلماء، اللغة، وجهابذة البيان. إذ ليس مفروضا في كل قارئ أو متعلم مبتدئ، أن يكون سيبويه زمانه أو عضوا في مجمع لغوي.

الخلاصة

أ - أن تيسير الكتابة والقراءة، باللغة العربية من الأغراض التي يجب أن نهدف إليها لا إقرارا بالقول بصعوبة هذه اللغة بل سيرا مع سنن التطور.

ولما كانت الحروف المطبعية الحالية غير كافية، فإن إضافة بعض الحروف الجديدة المنبثقة عن الأشكال المعروفة ضروري لرسم الأصوات التي لا عهد للعرب بها، مثل حرف U الفرنسي وP وسواهما.

ب - والحروف العربية نوعان: منفصلة، ومتصلة. أما المنفصلة، وعددها أحد عشر فهي: أ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ة، و، لا، ي. وفي اعتقادي أنه يمكن إبقاؤها على حالها.

وأما المتصلة وعددها تسعة عشر وهي: (ب، ت، ث، ج، ح، خ، س، ش، ص، ض، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن)، فيحسن توحيد شكلها المطبعي حيثما وردت. ولا فرق بين أن يكون شكلها الموحد هو شكلها في أول الكلمة أو في آخرها وحينئذ تصبح جميع الحروف منفصلة، وهذا ممكن.

ج - يضاف إلى ذلك وجوب استعمال الحركات وعلامات الوقف على اعتبارها جزءا متمما للحروف وللكلام.

د - وفي اعتقادي أن أشكال الحروف العربية الثلاثين، الآنف ذكرها، والحركات الأربع المطلوب استعمالها (الفتحة والضمة والكسرة والشدة) ليست أوفر عددا، ولا أصعب استعمالا، في الكتابة والطباعة من أمثالها، في اللغات الأجنبية.

ولا سيما إذا اعتبرنا أن تلك اللغات تستعمل الحروف اللاتينية بشكليها: العادي والكبير (ماجسكول، كابتال) وتصور تلك الحروف في الكتابة على صور تختلف عن صورها المطبعية.

وحينئذ تسلم اللغة العربية ميزة حروفها، التي لا تشاركها فيها حروف، ونعني صلاحها للاختزال حين الكتابة. وفي الواقع، فإن حروف الكتابة العربية، كما وصلت إلينا في خطوطها المختلفة، حروف اختزال.

فإذا اصطلحنا على استعمال حروف "الأول" أو حروف "الأخر" للطباعة، تيسيرا لعمل المنضدين للفكر وللعلم، في أوساط الشعوب التي تتكلم هذه اللغة، فيجب أن نحرص، في الوقت نفسه، على الإبقاء على حروف الكتابة، بأشكالها الفنية التي تطورت إليها. فصارت الألفاظ الجامدة قطعا من الفن الحي.

وفيما يلي، نورد الفقرة الأخيرة مطبوعة بحروف منفصلة على سبيل المثال:

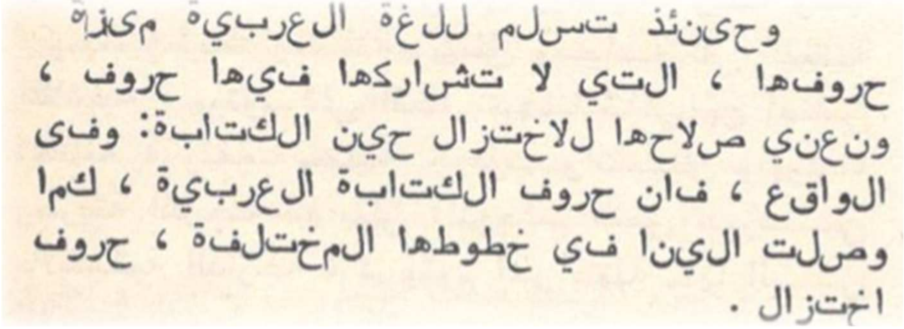

كما نورد الجملة الأخيرة، من الفقرة السابقة مكتوبة بالخط النسخي، دون زوائد يحشرها الخطاطون عادة للزينة، فتجئ لتعقيد الخط العربي وتشويهه، في اعتقادنا:

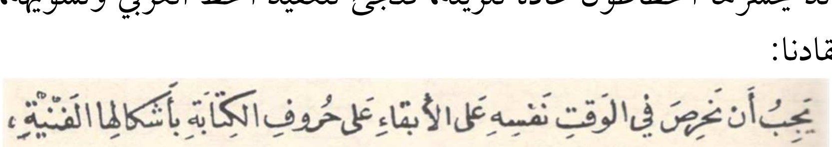

وإننا نسأل الله في الختام، أن يهدينا إلى ما يفيد بلادنا وينهض بالشعوب العربية، إلى المكان اللائق بها، في مجموعة الأمم الواعية الحرة!

. مجلة "اللسان العربي": العدد الخامس (5)، من الصفحة 56 إلى 63. سنة النشر 1967